﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾

[الرّوم: 47]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد أن ذَكَر النّظمُ الجليلُ ما أنعم اللّهُ به على عباده من نعمة الرّياح وما تُسَبِّبُه من تكوين السّحاب وجَريان الفُلْك في البحر بأمره تعالى، وكان السياق كله لنصر أولياء الله وقهر أعدائه، وكانت الرياح مبشرات ومنذرات كالرسل، وكانت موصوفة بالخير في كثرة منافعها وعمومها إن كانت نافعة، ومضارها إن كانت ضارة، أشبه شيء بالرسل في إنعاش قوم وإهلاك آخرين، أتبعَ ذلك بالتنبيه هنا أن عادته ما زالت قديماً وحديثاً قائمة على نصر أوليائه، فأخبر عن إرسال الرسل بالبينات وتتابعهم على الناس دون طول انقطاع[1].

بعدَ الآياتِ والحُججِ إمّا إيمانٌ فنجاةٌ وإمّا إعراضٌ فانتقامٌ

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾: (نقم) أصلٌ يَدُلُّ على إنكارِ شَيءٍ وعَيْبِهِ[2]، والإنكارُ على الفعل إمّا باللِّسانِ، وإمّا بالعُقوبَةِ، أو المعاتبةِ عليه[3]، ومِن ذلك: النِّقْمَةُ مِنَ العَذابِ والانْتِقام، كأنَّه أنكَرَ عليه فَعاقَبَهُ، والنِّقْمَةُ أيضًا: كَراهَةُ الشَّيءِ كَراهَةً شَديدَةً، يُقال: نَقِمْتُ الأمرَ، إذا بالَغْتَ في كَراهَتِهِ[4]، والمقصودُ بالانتقامِ في الآية: العُقوبَةُ لأجلِ ذَنْبٍ[5]، والانتقامُ: العقوبةُ لِمَن يفعلُ ما لا يُرضي[6].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 116 - 117، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نقم).
(3) الأزهري، تهذيب اللُّغة: (نقم).
(4) الرّاغب، المفردات: (نقم).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (نقم).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.

2) ﴿أَجْرَمُوٓاْ﴾: (جرم) أصلٌ واحِدٌ يرجِعُ إليهِ الفُرُوعُ، والجَرْم: القَطْعُ[1]، وقيل أصْلُه: الكَسْبُ، وفُلانٌ جَريمَةُ أهْلِه، أي: كاسِبُهُم، ومنه سُمّيَ الذَّنْبُ جُرْمًا؛ لأنَّهُ كَسْبٌ لِصاحِبِه[2]، والإجْرامُ: ارْتِكابُ الجُرْم، وهوَ الإثْمُ العَظيمُ[3]، يُقال: أجْرَمَ الرَّجُلُ: إذا ارْتَكَبَ ذَنْبًا، أو جَنَى جِنايَةً[4]، ويأتي بِمعنى الاعْتِداءِ والظُّلْم، فيُقال: أجْرَمَ في حَقِّ أخيهِ، أيْ: ظَلَمَهُ، واعْتَدَى عليه، والمقصودُ بالإجرام في الآية: فعلوا الآثامَ، واكتسبوا السّيّئاتِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سنّةُ الله بإهلاك الكَفَرة ماضيةٌ على السّابقين واللّاحقين

الآيةُ الكريمة تسليةٌ للنّبيّ ﷺ عمّا يَلقَى من قومه منَ الأذى، بتذكيره بما لقي مَن قبلَه منَ الرّسل من أقوامهم، وتبيين سُنّةِ اللّه تعالى فيهم، وأنّ تلك السّنّةَ جاريةٌ عليه ﷺ وعلى قومه: ولقد أرسلنا يا محمّد مِن قبلك رسلًا إلى قومهمُ الكفرةِ، كما أرسلناك إلى قومك الذين يعبدون الأوثان من دون اللّه، فجاؤوهم بالحُجج الواضحةِ الدّالّةِ على صدقهم فكذّبوهم، كما جئتَ أنتَ قومَكَ بالبيّنات، فكذَّبَك قومُك، فانتقمنا منَ الذين أجرموا بما اكتسبوا منَ السّيّئات، ونحن فاعلون ذلك كذلك بمجرمي قومِك، ونجّينا الذين آمنوا؛ إذ جاءهم بأسُنا، وكذلك نفعلُ بك وبمَن آمن بكَ من قومك، ونحن ناصروكَ ومَن آمن بكَ على مَن كفر بك[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى الواوِ في ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ ودلالتُها:

الاعتراض لتسلية النّبيّ ﷺ

افتتح النّظمُ الجليلُ الجملةَ بالواو في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدۡ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرم)، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جرم).
(2) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جرم).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(4) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (جرم).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 113 - 114.

﴿أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾ وهي هنا للاعتراض، فالجملةُ معترضةٌ، وفائدةُ الاعتراض هنا تسليةُ النّبيِّ ﷺ، جيء به بين قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾، وقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾[1]، والذي حَسَّن الاعتراضَ هنا ذِكْرُ نعمةِ الرّياح وما يتبعُها من جَريان الفُلْك، فعَقّبه بذِكْر ما فيه تذكيرٌ بنقمة الطّوفان لقوم نوحٍ ونجاةِ المؤمنين بالفُلْك، فَسيقَ تحذيرًا للمكذّبين من قريش أن يصيبَهم ما أصاب المكذّبين قبْلَهم[2].

سرُّ التّوكيدِ بـ (اللّام) و(قد):

تأكيدُ الإرسالِ لـردِّ شبهةِ إرسالِ البشر

أكّد النّظمُ الجليلُ الجملةَ باللّام المُوطّئةِ للقَسَم وحرفِ التّحقيق (قد) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾؛ وذلك للرّدّ على إنكار كثيرٍ من النّاس إرسالَ رُسلٍ من البشر، كما أنّ فيه إشارةً إلى شِدّة الحال التي كان عليها النّبيُّ ﷺ من تكذيب قومِه له[3]، فأكّد النّظمُ الجليلُ أنّ الإرسال من سُنّة الله تعالى التي لا تتخلّفُ عن عباده، كما أنّ تكذيب الأقوام لهؤلاء الرّسل أمرٌ مُعتادٌ منهم، فهو تسليةٌ للنّبيّ ﷺ، وتثبيتٌ لفؤاده.

دلالةُ التّعبيرِ بالإرسالِ؛ مادّةً وصيغةً:

التّأكيدُ على إرسالِ النّبيِّ ﷺ برسالةٍ يبلّغها عن ربّه

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالإرسال في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾؛ للدّلالة على أنّه يحمل رسالةً، وأنّه مُبلِّغٌ عن ربّه، وجيءَ به فعلًا ماضيًا للدّلالة على تحقّق الإرسال.

السّرُّ في إسنادِ الإرسالِ إلى ضميرِ التّعظيم:

إرسالُ الرّسلِ نعمةٌ جليلةٌ القدرِ عظيمةُ الشّأن

أسنَد النّظمُ الجليلُ الإرسالَ إلى الذّات العَليّة المُعبَّر عنها بضمير التّعظيم في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾ دون أن يقول:

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 260.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 116 - 117.

(وأرسل من قبلك)؛ وذلك لأنّ التّعظيم أنسبُ لسياق الانتقام في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ﴾[1]، وإرسالُ الرّسلِ نِعمةٌ جليلةٌ من نِعَم اللّه تعالى، فالتّعبيرُ بضمير التّعظيم للإشارة إلى عظَمة هذه النّعمةِ التي يكفُرُ بها المشركون.

دلالةُ التّعبيرِ بحرفِ الجرّ ﴿مِن﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ وهي هنا دالّةٌ على التّبعيض، أي: إنّ إرسال الرّسل قبلَ النّبيِّ ﷺ لم يستغرق كلَّ الزّمان السّابق[2]، وهذا يدلُّ على كفاية الرّسالاتِ التي بعثها اللّهُ تعالى لعباده قبلَ النّبيِّ ﷺ.

كفايةُ الرّسالاتِ تُغني عنِ الإرسالِ في كلّ الأزمنةِ

إيثارُ التّعبيرِ بالقَبْليّة:

عبّر النّظمُ الجليلُ بالقَبليّة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾؛ تذكيرًا بأنّ دأبَ الأمم تكذيبُ رسلِهم، مثلما كذّبت قريشٌ النّبيَّ ﷺ، وجاء السّياقُ تسليةً له، فبيّن النّظمُ الجليلُ بلفظ القَبليّة بأنّ التّكذيب ليس بدعًا من قريش، بل إنّ الأقوام قبْلَهم قد كذّبوا رسلَهم، فما تراه من قومك قد سبق أن عانى منه الرّسلُ، فصبروا على عُتوّ قومهم وصدِّهم عنهم.

تكذيبُ الرّسل شأنٌ دأبَ عليه الكفّارُ في السّابق

دلالةُ تنكيرِ ﴿رُسُلًا﴾:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ الرّسل بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾؛ وذلك لِما في التّنكير من دلالة على التّكثير، وعلى تفخيم شأن المذكور وتعظيمِه.

لا يعلمُ عددَ الرّسل الذين أرسلهمُ اللهُ تعالى على وجه التّحديدِ إلّا الله

بلاغةُ الجناسِ بين ﴿أَرْسَلْنَا﴾ و﴿رُسُلًا﴾:

جمع النّظمُ الجليلُ بين اللّفظين: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ و﴿رُسُلًا﴾: في

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 116.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 117.

الجملة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا﴾ على سبيل الجناس الاشتقاقيّ؛ لكونِهما مُشتَقَّين من جذرٍ واحدٍ، وهو (رسل)، وهذا يعطي جمالًا بلاغيًّا على النّظم، وذلك بتَكرار ألفاظٍ متوافقةٍ في الجذر، يجعلُ النّصَّ متماسكًا ومسبوكًا لفظًا ومعنًى.

تَكرارُ ألفاظٍ من مـادّة الإرسـال تأكيدٌ على عِظَم نعمةِ الرّسالة

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾، وهو هنا دالٌّ على الغاية، فغايةُ الإرسال بلوغُ المرسلين إلى قومهم والنّهايةِ إليهم، وقد بيّن ذلك أنّ المقصود منَ الإرسال هو الأقوامُ، وهذا إظهارٌ لِلُطْفِ الله تعالى بعباده، أن يُرسل إليهم مَن يُبلِّغُهم أمرَه وشريعتَه.

مقصودُ الإرسالِ بلـوغُ التّبليغِ للأقوام

سرُّ التّقييدِ بالجارِّ والمجرور ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾:

قيّد النّظمُ الجليلُ الإرسالَ بشبه الجملة ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ الله تعالى يُراعي حالَ عباده بكونهم إنّما يتّبعون مَن يعرفون حالَه، ولا يأنَسون إلّا لمن عرفوا منَ النّاس، فأرسل إليهم رسلًا من بينِ أظهُرِهم؛ ليكون ذلك أدْعى أن يؤمنوا بهم.

معرفةُ الأقـوامِ برسولِهم أدْعى للإيمان به

معنَى الفاءِ في ﴿فَجَآءُوهُم﴾:

عطفَ النّظمُ الجليلُ المجيءَ بالآيات على الإرسال بالفاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، لِما في الفاء من دلالةٍ على التّعقيب والسّببيّة، فالإرسالُ هو المُسبِّبُ لذلك المَجيء، والمَجيءُ بتلك الآيات كان بعد الإرسال على الفور بلا تأخير؛ تحقيقًا لأسباب الإيمان، وإقامةً للحُجّة على العباد.

المجيءُ بالآياتِ واقـعٌ عـقـبَ الإرسـال؛ لطفًا بالعباد

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿فَجَآءُوهُم﴾ مادّةً وصيغةً:

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمجيء في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءُوهُم

تقديمُ الآياتِ يأتي بقوّة وفخامةٍ مناسبةٍ لمقام التّبليغ

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾؛ للدّلالة على قوّة تلك الآيات وفخامةِ شأنها، وأنّها جديرةٌ بالإيمان بها، وجاء التّعبيرُ بالفعل الماضي للدّلالة على تحقُّق المجيء.

معنَى الباءِ في ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾:

الآياتُ قرينةُ الرُّسل لا تنفكُّ عنهم

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ وهي هنا للتّعدية، أي: أحْضَروا معهم الآياتِ والحُججَ شاهدةً على صدقهم، ولمّا كانتِ الباء لا تخلو منَ الدّلالة على الإلصاق، صار المعنى: أنّ المجيء متلبّسٌ بالحُجج والدّلائل، ويصلحُ أن تكون للمصاحبة، أي: إنّ مجيئَهم صاحبَ البيانَ والآياتِ الشّاهدةَ على الصّدق.

نُكْتَةُ إيثارِ لفظِ ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ مادّةً وصيغةً:

براهينُ الأنبياءِ واضحةٌ بيّنةٌ قائمةُ الحُجّة

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ البيّنات في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ إشارةً إلى أنّ الحُجج والبراهين التي أتى بها الرّسلُ ﷺ كانت تتّصفُ بالوضوح والبيان، فهي حُجَجٌ واضحةٌ نيّرةٌ[1]، وجاء التّعبيرُ بصيغة الجمع للدّلالة على كثرة تلك الحُجج وتظافُرِها، على إثبات الصّدق وإظهارِ الحقّ، فضلًا عن دلالتها على العموم؛ تعديدًا للحُجج وتنوّعًا.

معنَى الفاءِ في ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾:

الانتقامُ مُتسبّبٌ عنِ التّكذيب

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾ بالفاء الفصيحة؛ لأنّها تُفصحُ عن كلامٍ محذوفٍ، والتّقديرُ: فكذّبُوهم فانتقمنا منهم[2]، فالانتقامُ إنّما يقع بسبب التّكذيب، لا بسبب المجيء بالآيات، وفي التّكذيب تعريضٌ بهم من حيثُ تقديمُهم الإعراضَ والجُحودَ عنادًا وكِبْرًا، على إعمال العقل

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 261.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 64.

والتفكّر، وتدلُّ - أيضًا - على التّعقيب، فالانتقامُ كان رِدفَ التّكذيبِ بلا طُول مُهلةٍ.

سرُّ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾ مادّةً وصيغةً:

الانتقامُ عقوبةٌ على الفعل غيرِ المرضيِّ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالانتقام في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾؛ لدلالته على إنْكارِ شَيْءٍ وعَيْبِهِ، والنِّقْمَةُ مِنَ العَذابِ والانْتِقامِ، كَأَنَّهُ أنْكَرَ عليه فَعاقَبَهُ[1]، فهو يدلُّ على أنّ العقوبة إنّما جاءت بسبب فعلٍ مُنكرٍ قدّموه، فالانتقامُ هو العقوبة لِمَن يفعلُ ما لا يُرضَى، وجاء التّعبيرُ بصيغة (الافتعال) للدّلالة على حصول أثرِ النِّقم، وهو الإنكارُ والكراهيّة والغضب[2].

السِّرُّ في إسناد الانتقامِ إلى ضمير العظَمةِ:

الانتقامُ في الغايةِ العُليا منَ الشّدّة؛ لوقوعه منَ الله العظيم ﷻ

أسند النّظمُ الجليلُ الانتقامَ إلى ضمير التّعظيم في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾؛ للدّلالة على أنّ اللّه تعالى عاقبَهم بما له منَ العظَمة[3]، وهذا يدلُّ على شدّة الانتقام وتهويلِ شأنه، والمُرادُ ترهيبُ كفّارِ قريش من مغبّة كُفرِهم بالنّبيِّ ﷺ، بأنّ مصيركم لا يبعدُ عن مصير أولئك المكذّبين.

عِلّةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ:

التّعبيرُ بالموصولِ يشيرُ إلى عِلّة الانتقام وهي الإجرامُ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالاسم الموصول دون الضّمير في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾ فلم يقل: (فانتقمنا منهم)؛ وذلك للدّلالة على علّة الانتقام، وهو ما تضمّنتْه صلةُ الموصول منَ الدّلالة على الإجرام، وفيه تنبيهٌ على المحذوف المُقدّرِ الذي أفصحت عنه الفاءُ[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نقم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 117.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 64.

سرُّ التّعبيرِ بالفعلِ ﴿أَجۡرَمُواْ﴾ مادّةً وصيغةً:

الإجـرامُ قطعُ الإيمانِ ووصلُ الكفرِ والعصيان

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالإجرام في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ﴾؛ لدلالة الجُرم على القطع، فهو تعبيرٌ عن كونهم قطعوا ما أمرَ الله تعالى به أن يُوصَل، فوصلوا الكفرَ وقطعوا الإيمانَ[1]، وجاء التّعبيرُ عنه بصيغة الفعل الماضي المُسنَدِ إلى واو الجماعة؛ للدّلالة على أنّهم قد تمالؤوا على ذلك الإجرام جميعًا.

دلالةُ الواوِ في جملة الفاصلة:

إرسـالُ الرّسلِ ونصرِ المؤمنين وعـدٌ مـن الله العظيم

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ على جملة القَسَم المُقدَّرةِ في صدر الآية[2]، فلمّا أقسم تعالى على إرسال الرّسل إلى أقوامهم، وبيّن أنّه انتقم منَ الذين أجرموا بما كذّبوا، أتبعَ ذلك بالإخبار بأنّ نصر الله تعالى لعباده المؤمنين وعدٌ منه سبحانه، وهو صادقُ الوعد لا يُخْلِفُ الميعاد[3]، فإرسالُ الرّسلِ مُؤكَّدٌ مُحَقّقٌ، ونصرُ المؤمنين بهم حقٌّ ثابتٌ.

فائدةُ التّعبيرِ بالكون:

نصرُ اللهِ تعالى المؤمنين حقٌّ ثابتٌ لا يزولُ

عبّر النّظمُ الجليلُ بفعل الكون في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ للدّلالة على أنّ هذا الحقّ ثابتٌ على سبيل الدّوام والثّبوت[4]، فهو تأكيدٌ لكون هذا الحقّ راسخًا بحيثُ لا يعتريه الزّوالُ.

نُكْتَةُ إيثارِ التّعبيرِ بـ ﴿حَقًّا﴾:

نُصْرة أهلِ الحقّ عدالةٌ منَ الله تعالى

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الحقّ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لدلالة الحقّ على الواجب واللّازم[5]، أي:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 117.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 58.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 265.
(4) الخطيب، السّراج المنير: 3/ 174.
(5) الرّاغب، المفردات: (حق).

أنّ نصر المؤمنين أوجبه اللّهُ تعالى وألزم نفسَه به، وعدًا منه لا خُلْفَ فيه[1]؛ وذلك لأنّ الله تعالى عادِلٌ، فكان منَ العدل والحكمة نصرةُ أهلِ الإيمان.

سرُّ تقديمِ المُسنَدِ على المُسنَدِ إليه:

تقديمُ الحقِّ تفخيمٌ لشأنه وتنويهٌ بقوّة ثبوته ولُزومِه

قدّم النّظمُ الجليلُ المُسندَ ﴿حَقًّا﴾ على المُسنَد إليه ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ للاهتمام به، فقدّم الحقَّ الذي أوجبه اللّهُ تعالى على ذاته العليّة تفخيمًا لشأن ذلك الحقّ وتنويهًا به، كما أنّ تأخير المُسنَد إليه فيه تشويقٌ لذِكْره؛ فإنّ السّامع يتطلّعُ ليعرف ما الحقُّ الذي أوجبه اللّهُ تعالى على نفسه، فلمّا سمع أنّه ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنّ ذلك يقع في النّفس أبلغَ موقعٍ.

بلاغةُ التّعبيرِ بشبْه الجملةِ ﴿عَلَيْنَا﴾:

نصرُ المؤمنين استحقاقٌ بالإيمان

عبّر النّظمُ الجليلُ بشِبْه الجملة ﴿عَلَيْنَا﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لجعْلِ نصرِ المؤمنين حقًّا ثابتًا على الله تعالى مُستحَقًّا لهم، فهو تشريفٌ وتكريم للمؤمنينَ؛ لأنّ حرف الجرّ (على) يفيدُ معنى اللّزوم[2]، فشِبهُ الجملةِ دلّت على أنّ نصر المؤمنين حقٌّ قد أوجبه الله تعالى على ذاته العليّة، فضلًا منه وكرمًا لمن آمن وأخلص لله تعالى[3].

وجهُ إضافةِ النّصرِ إلى ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

تكريمُ المؤمنين وتشريفُهم بجَعْل نصرِهم حقًّا على الله تعالى

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ النّصر إلى المؤمنين في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، لتكريم المؤمنين وتشريفِهم بأنّ نصرهم هو الحقُّ الذي أوجبه تعالى على نفسه، وليس مُطلقَ النّصر.

(1) الخطيب، السّراج المنير: 3/ 174.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 64، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 186.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 96.

معنَى (أل) في قوله: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

النّصرُ واقعٌ لجنس المؤمنين شاملٌ للزّمان والمكان

عرّف النّظمُ الجليلُ المؤمنين بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وهي هنا دالّةٌ على الجنس، فاللّهُ تعالى ينصرُ كلّ المؤمنين في كلّ زمان ومكان، لا يختصّ بفئة ما منهم دون فئة.

سرُّ اختيارِ لفظِ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ مادّةً وصيغةً:

الإيمانُ شاملٌ للتّصديق بالأنبياء والاتّباعِ للشّريعة

آثر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الإيمان في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لأنّ الإيمان يُوْصَف به كلُّ مَن أقرّ بالله تعالى وبالنّبوّة[1]، فهو تعبيرٌ شاملٌ لكلّ من اتّبع النّبوّةَ وصدّق وآمن قلبُه، وجاء التّعبيرُ عنهم بصيغة اسمِ الفاعل المجموع للدّلالة على أنّهم عريقون في ذلك الوصف[2].

❁ الفروقُ المعجميّةُ:

الانتقامُ، والتّعذيبُ، والقصاصُ، والعقابُ:

العذابُ إيجاعٌ لا يقتضي السّببَ والانتقامُ العذابُ بسببِ فعلٍ غيرِ مرضيٍّ

العذابُ: هو الإيجاعُ الشّديد[3]، والانتقامُ: يدلّ على إنْكارِ شَيْءٍ وعَيْبِه، والنِّقْمَةُ مِنَ العَذابِ والانْتِقام، كَأَنَّهُ أَنْكَرَ عليه فَعاقَبَهُ[4]، فيدلُّ على أنّ العقوبة تكونُ بسبب فعلٍ مُنكَرٍ قدّموه، فالانتقامُ هو العقوبة لِمَن يفعلُ ما لا يُرضى[5].

وأمّا القِصاصُ: فهو تتبّعُ الدّم بالقَوَد[6]، وأصلُه يَدُلُّ على تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ: اقْتَصَصْتُ الأثَرَ، إذا تَتَبَّعْتُهُ، ومِنْ ذَلِكَ: اشْتِقاقُ القِصاصِ في الجِراحِ، وذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالأوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أثَرَهُ[7]، فهو خاصٌّ بالعقاب في الجروح.

(1) الرّاغب، المُفردات: (أمن).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 118.
(3) الرّاغب، المُفردات: (عذب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نقم).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.
(6) الرّاغب، المفردات: (قصص).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قصّ).

وأمّا العقابُ: فأصلُه من (عقب)، وهو يَدُلُّ على تَأخيرِ شَيْءٍ وإتْيانِه بَعْدَ غَيْرِهِ، وإنَّما سُمّيَتْ عُقُوبَةً لِأنَّها تَكونُ آخِرًا، وثانيَ الذَّنْبِ[1]، والعُقوبَةُ والمُعاقَبة والعِقاب يختصّ بالعذاب[2]، فالعقاب هو العذاب الذي يأتي تبعًا للذّنوب.

فالعذابُ يدلُّ على مُطلق الإيجاع، وقد يكون بلا سببٍ، والقصاصُ خاصٌّ بالجروح، والعقاب هو العذابُ المُترتِّبُ على الذّنوب، أمّا الانتقامُ فيدلّ على التّعذيب بسبب فعلِ ما لا يُرضَى، فهو واقعٌ بسبب جُرم قدِ ارتكبَه المُنتقَمُ منه، وهذا الأنسبُ للآية؛ لأنّهم أجرموا فاكتسبوا الذّنوبَ التي استحقّوا بها العقوبةَ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقب).
(2) الرّاغب، المفردات: (عقب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»